بُنَاة دَوْلَـةِ الإسْلام

- ٤٢ -

عِكْرِمَة بن عَمْرِو بن هِشَام

رضي الله عنه

هُوَ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّ.

كَانَ أَبُوهُ عَمْرُو بنُ هِشَامٍ «أبو جهلٍ» ابنَ عمِّ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَقَدْ آلَتْ إِلَيْهِ زَعَامَةُ مَخْزُومٍ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرَةِ أَبِي خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ، وَكَانَ أَحَدَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ وَرُكْناً مِنْ أَرْكَانِ الكُفْرِ، وَأَبْرَزِ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ. قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِراً. وَغَدَا ابْنُهُ عِكْرِمَةُ سَيِّدَ بَنِي مَخْزُومٍ. وَأَمَّا أُمُّهُ فَهِيَ أُمُّ مُجَالِدٍ بِنْتُ يَرْبُوعٍ مِنْ بَنِي هِلاَلِ بنِ عَامِرٍ.

كَانَ عِكْرِمَةُ كَأَبِيهِ أَحَدَ أَعْمِدَةِ الشِّرْكِ قَاتَلَ ضِدَّ الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ.

تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ، وَكَانَتْ ذَاتَ عَقْلٍ وَحِكْمَةٍ وَرَأْيٍ سَدِيدٍ.

وُلِدَ عِكْرِمَةُ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِإِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِسَنَتَيْنِ.

وَقَفَ ضِدَّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَارَبَهُ بِكُلِّ إِمْكَانَاتِهِ، كَمَا حَارَبَ كُلَّ مَنْ أَسْلَمَ.

وَهَاجَرَ المُسْلِمُونَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ فِرَاراً بِدِينِهِمْ لِمَا لاَقُوا مِنْ صَدٍّ مِنْ قُرَيْشٍ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِمَا لَحِقَهُمْ مِنْ أَذىً وَاضْطِهَادٍ، وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَفِي المَدِينَةِ أُقِيمَتْ دَوْلَةُ الإِسْلاَمِ، وَبَدَأَتْ تُرْسِلُ السَّرَايَا، كَمَا تَقُومُ الغَزَوَاتُ إِلَى كُلِّ جِهَةٍ لِدِرَاسَةِ الأَرْضِ، وَمَعْرِفَةِ سُكَانِهَا، وَمُحَاوَلَةِ التَّحَالُفِ مَعَ قَبَائِلِهَا، وَكَمُنَاوَرَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ لإِثْبَاتِ الوُجُودِ وَتَثْبِيتِ دَعَائِمِ الدَّوْلَةِ، وَكَبِدَايَةٍ لِتَهْدِيدِ قُرَيْشٍ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى الطُّرُقِ التِّجَارِيَّةِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالشَّامِ، وَالَّتِي تَسْلُكُهَا قَوَافِلُ قُرَيْشٍ ذَاهِبَةً وَآيِبَةً، وَالتِّجَارَةُ عِمَادُ حَيَاةِ قُرَيْشٍ، فَإِذَا سَيْطَرَ المُسْلِمُونَ عَلَى هَذِهِ الطُّرُقِ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا شِرْيَانَ الحَيَاةِ عَنْ قُرَيْشٍ.

أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَهْرِ شَوَّال مِنَ السَّنَةِ الأُولَى لِلْهِجْرَةِ عُبَيْدَةَ بنَ الحَارِثِ بنِ المُطَّلِبِ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ تَتَأَلَّفُ مِنْ ثَمَانِينَ رَاكِباً كُلُّهُمْ مِنَ المُهَاجِرِينَ لِتَعْتَرِضَ قَافِلَةً لِقُرَيْشٍ كَانَتْ بِإِمْرَةِ عِكْرِمَةَ بنِ عَمْرِو بنِ هِشَامٍ، وَمَعَهُ مِائَتَا رَاكِبٍ، فَالْتَقَى الفَرِيقَانِ قُرْبَ رَابِغٍ،

وَابْتَدَأَ القِتَالُ بِالرَّمِي بِالنَّبْلِ إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ إِذِ انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ وَمَنْ مَعَهُ رَغْمَ كَثْرَتِهِمْ. انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ رَغْمَ شَجَاعَتِهِ وَبُطُولَتِهِ وَرَغْمَ قُوَّتِهِ وَفُرُوسِيَّتِهِ وَشِدَّةِ بَأْسِ مَنْ مَعَهُ، فَإِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالقُوَّةَ مَهْمَا بَلَغَتَا فَإِنَّهُمَا لاَ تَثْبُتَانِ أَمَامَ قُوَّةِ الإِيمَانِ. انْهَزَمَ عِكْرِمَةُ الفَارِسُ المَعْرُوفُ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُونَ قَدْ نَصَبُوا لَهُ كَمِيناً إِذْ لاَ يَتَوَقَّعُ أَنْ يُنَازِلَ ثَمَانُونَ رَجُلاً مائَتَي رَاكِبٍ، وَرُبَّمَا كَانَ الحَقُّ مَعَهُ إِذْ لَمْ يَعْرِفْ بَعْدُ الرُّوحَ المَعْنَوِيَّةَ لَدَى المُسْلِمِينَ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَمْ يَتَذَوَّقْ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ بَعْدُ، وَلَمْ يَحْضَرْ مَوَاقِعَ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَشْهَدْ قِتَالَهُمْ بَلْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ بَرَزُوا بَعْدُ وَأَسْمَعُوا الدُّنْيَا بِمَوَاقِفِهِمْ.

وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ مَعَ قُرَيْشٍ إِلى بَدْرٍ، وَقُتِلَ أَبُوهُ «أَبُو جَهْلٍ» يَوْمَذَاكَ، كَمَا قُتِلَ طُغَاةُ قُرَيْشٍ، وَجُنْدِلَ صَنَادِيدُهَا، وَلَمْ تَنْفَعْهَا قُوَّتَها، وَلَمْ يَفِدْهَا جَبَرُوتُهَا أَمَامَ الإِيمَانِ وَتَأْيِيد اللَّهِ الَّذِي لاَ يُغْلَبُ وَلاَ يُغَالَبُ. وَنَجَا عِكْرِمَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِيْ أَرَادَ لَهُ الحَيَاةَ، وَأَرَادَ لَهُ الخَيْرَ، وَأَرَادَ له الخَاتِمَةَ الحَسَنَةَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَذْكُرُ هَذَا دَائِماً، فَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي اليَمِينِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ يَقُولُ: لاَ وَالَّذِي نَجَّانِي يَوْمَ بَدْرٍ.

وَكَانَ عِكْرِمَـةُ يَوْمَ بَدْرٍ بِجَانِـبِ أَبِيهِ فَلَمَّـا ضَرَبَ مُعَاذُ بـنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ أَبَا جَهْلٍ فَقَطَعَ رِجْلَهُ أَسْـرَعَ عِكْرِمَـةُ لِيَنْصُرَ أَبَاه فَضَرَبَ يَدَ مُعَاذٍ فَطَرَحَهَا، وَلَكِنْ لَمْ يُجْدِ ذَلِكَ الأَبَ شَيْئاً إِذْ كَانَ مُعَوِّذُ ابْنُ عَفْرَاءَ قَدْ ضَرَبَ أَبَا جَهْلٍ ضَرْبَةً أَثْبَتَتْهُ وَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ فَأَسْرَعَ عَبْدُ اللَّه بنُ مَسْعُودٍ وَأَجْهَزَ عَلَى أَبِي جَهْلٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ قَدْ خَافَ بَعْدَ قَطْعِ يَدِ مُعَاذٍ فَوَلَّى، وَتَرَكَ أَبَاهُ صَرِيعاً.

وَرَجَعَتْ قُرَيْشٌ إِلَى دَارِهَا مَكْلُومَةً ذَلِيلَةً، وَسَارَ عِكْرِمَـةُ، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ العِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ، فَقَالُـوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَـمَّداً قَدْ وَتَرَكُمْ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا المَالِ عَلَـى حَـرْبِـهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا فَفَعَلُوا.

اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَـرْبِ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ، وَخَرَجَ عِكْرِمَةُ مَعَ بَنِـي قَوْمِـهِ مِنَ الكُفَّارِ، وَخَرَجَتْ مَعَهُ زَوْجُـهُ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْـتُ الحَارِثِ بـنِ هِشَامٍ بنِ المُغِيرَةِ.

كَانَ عَدَدُ جَيْشِ المُشْرِكِينَ ثَلاثَةَ آلاَفِ مُقَاتِلٍ، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرسٍ وَقَدْ جعَلَوا خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ عَلَى مَيْمَنَةِ الخَيْلِ وَعِكْرِمَةَ بنَ عَمْرٍ عَلَى مَيْسَرَتِهَا. أَمَّا المُسْلِمُونَ فَكَانَ عَدَدُهُمْ دُونَ سَبْعِمِائَةِ مُجَاهِدٍ وَلَيْسَ مَعَهُمْ سِوَى فَرَسَيْنِ أَحَدُهُمَا لِلزُّبَيْرِ بن العَوَّامِ وَالثَّانِيَةَ لِلْمِقْدادِ بنِ عَمْرٍ. وَاصْطَفَّ الطَّرَفَانِ، وَوَقَفَتِ الخَيْلُ أَمَامَ الخَيْلِ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْظَرٌ يَسْتَدْعِي التَّأَمُّلَ مِائَتَا فَارِسٍ مُقَابِلَ اثْنَيْنِ فَلَيْسَ هُنَاكَ أَيُّ مَجَالٍ لِلْمُقَارَنَةِ حَسْبَ التَّقْدِيرَاتِ المَادِيَّةِ وَالاعِتِبَارَاتِ المَادِيَّةِ، وَرُبَّمَا كَانَ عَلَى خَيْلِ المُسْلِمِينَ أَوِ الفَارِسَيْنِ أَنْ يَنْسَحِبَا مِنَ المَيْدَانِ.

بَدَأَتِ المَعْرَكَةُ وَانْدَفَعَ الفَارِسَانِ المُسْلِمَانِ الزُّبَيْرُ وَالمِقْدَادُ عَلَى خَيْلِ المُشْرِكِينَ المِائَتَيْنِ وَالَّتِي يَقُودُهَا فَارِسَا قُرَيْشٍ بِلاَ مُدَافِعٍ خَالِدُ وَعِكْرِمَةُ فَوَلَّتْ خَيْلُ المُشْرِكِينَ الأَدْبَارَ، مِائَتَا فَارِسٍ فَرُّوا مِنْ فَرَسَيْنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ مَا أَرْوَعَ الايمَانَ كَيْفَ يَصْقُلُ النُّفُوسَ وَيَجْعَلُهَا قَوِيَّةً شُجَاعَةً لاَ تُبَالِي بِشَيْءٍ وَلَكِنَّ الحَقِيقَةَ أَنَّ البَاطِلَ قَدْ هُزِمَ أَمَامَ الحَقِّ وَانْدَحَرَ. فَالزُّبَيْرُ بِإِيمَانِهِ أَقْوَى مِنْ خَالِدٍ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ، والمِقْدَادُ بِإِيمَانِهِ أَقْوَى مِنْ عِكْرِمَةَ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّةُ عِكْرِمَةَ مِنْ غَيْرِ إِيمَانٍ، وَلِذَا فَقَدِ انْهَزَمَ خَالِدُ وَعِكْرِمَةُ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ عَدَدٍ كَبِيرٍ

مِنَ الفُرْسَانِ أَمَامَ اثْنَيْنِ ، فَلَمَّا آمَنَ خَالِدُ وَآمَنَ عِكْرِمَةُ تَسَاوَيَا مَعَ الزُّبَيْرِ وَالمِقْدَادِ وَغَدَا الفَارِقُ فِي الإِمْكَانِيَّةِ وَمَعرِفَةِ أَسَالِيبِ القِتَالِ.

انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ فِي مَعْرَكَةِ أُحُدٍ، ثُمَّ عُوقِبُوا بِمَا نَزَلَ بِهِمْ لِمُخَالَفَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضَ أَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ مُخَالَفَةَ بَعْضِهِمْ دُونَ عُقُوبَةٍ وَهُمْ فِي دَوْرِ التَّرْبِيَةِ وَالإِعْدَادِ فَنَزَلَ بِالمُسْلِمِينَ بَلاَءٌ شَدِيدٌ خَرَجُوا مِنْهُ مُنْتَصِرِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ أَصَابَهُمُ القَرْحُ فَثَابُوا إِلَى رُشْدِهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِمْ مَعْنَوِيَّاتِهِمْ.

رَجَعَتْ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّةَ وَلَمْ تَظْفَرْ بِكُلِّ الَّذِي كَانَتْ تُرِيدُ، وَإِنْ أَوْهَمَتْ نَفْسَهَا أَنَّهَا حَصَلَتْ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ، وَضَخَّمَتْ مَا حَقَّقَتْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهَا شَحَنَتْ أَفْرَادَهَا بِأَحْقَادٍ عَظِيمَةٍ وَكَانَ كُلُّ رِجَالاَتِهَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَغْنَمُوا شَيْئاً مِنَ المُسْلِمِينَ أَوْ تَقَعَ أَيْدِيهُمْ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَتْ حَادِثَةُ الرَّجِيعِ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِلْهِجْرَةِ، وَغَدَرَتْ عَضَلُ وَالقَارَةُ بِبَعْضِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَاعَدَتْ هُذَيْلُ عَلَى ذَلِكَ، وَقَبَضَتْ عَلَى خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ، وَزَيْدِ بنِ الدَّثِنَّةِ وَبَاعَتْهُمَا لِقُرَيْشٍ. فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَجْتَمِعُ

عِنْدَمَا تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ الوَاحِدَ مِنْهُمَا وَتَـرَى زُعَمَاءَهَـا فِي حَرَكَةٍ دَائِبَةٍ، وَصِيَاحٍ وَعُنْفٍ عَلَى المُزْمَعِ قَتْلُهُ، وَكَأَنَّهَا إِثْرَ حَرْبٍ، وَحَقَّقَتْ نَصْـرَاً مُـؤَزَّرَاً، وَظَفِـرَتْ مِنْ أَعْدَائِهَـا بِمَـا تُرِيدُ، وَالأَسْرَى بَيْنَ يَدَيْهَا تُرِيدُ الانْتِقَامَ مِنْهُمْ، وَكَانُـوا قَدْ فَجَعُوهَـا بِقَادَتِهَا، وَكَانَ عِكْرِمَةُ مَعَ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ فِي هَذَا التَّصَرُّفِ بَلْ عَلَى رَأْسِهِمْ.

خَرَّبَتْ قُرَيْشُ الأَحْزَابَ، وَاتَّفَقَـتْ مَعَ قَبَائِـلِ غَطَفَـانَ، وَتَفَاهَمَـتْ مَعَ بَنِـي قُرَيْظَـةَ، وَهُـمْ مَنْ بَقِـيَ مِنَ اليَهُـودِ فِي المَدِينَةِ، وَعَمِلَ الجَمِيعُ عَلَى اسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ المُسْلِمِينَ ـ عَلَى زَعْمِهِمْ ـ وَسَارَتْ قُرَيْشُ نَحْوَ المَدِينَةِ، وَالْتَقَتْ مَعَ غَطَفَانَ، وَتَقَدَّمُـوا نَحْـوَ هَدَفِهِـمْ غَيْرَ أَنَّهُـمْ وَجَـدُوا الخَنْـدَقَ أَمَامَهُمْ فَوَقَفُوا عِنْدَهُ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ فُرْسَانِ قُرَيْشٍ وَجَدُوا مَكَانَاً ضَيِّقَـاً مِنَ الخَنْدَقِ، فَضَرَبُوا خَيْلَهُـمْ فَاقْتَحَمَتْهُ وَمِنْهُمْ: عَمْرُو بـنُ عَبْدِوُدٍّ، وَعِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ، وَهُبَيْرَةُ بنُ أَبِي وَهَبٍ، وَضِرَارُ بنُ الخَطَّابِ بنُ مِرْدَاسَ، فَتَصَدَّى لَهُمْ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِـبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَبَرَزَ عَلِيٌّ لِعَمْرِو بن عَبْدِوُدٍّ وَقَتَلَـهُ، فَوَلَّـتْ خَيْلُ المُشْرِكِينَ هَارِبَةً مُقْتَحِمَةً الخَنْدَقَ مِنْ حَيْثُ أَتَـتْ، وَأَلْقَـى يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ رمْحَهُ مُنْهَزِماً عَنْ عَمْرِو بن عَبْدِوُدٍّ حَتَّى قَالَ حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ.

فَــرَّ وَأَلْقَــى لَنَــا رُمْحَهُ
لَعَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعَدْوِ الظَّلِيمِ مَا إِن تَجُـورُ عَنِ المَعْدِلِ
وَلَــمْ تُلْــقِ ظَهْــرَكَ مُسْتَأْنِساً
كَأَنَّ قَفَــاكَ قَفَــا فُرْعُلِ

وَخَذَلَ اللَّهُ المُشْرِكِينَ وَأَلْقَى الرُّعْبَ فِي نُفُوسِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَافْتَرَقَ الشَّمْلُ، فَأَرْسَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَرُؤُوسُ غَطَفَان إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِ بنِ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَغطَفَان لِيَسْتَحِثُّوهُمْ عَلَى القِتَال وَالغَدْرِ بِعَهْدِ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُونَ نَتِيجَةَ الخَوْفِ بَلْ طَلَبُوا رَهَائِنَ مِنْ قُرَيْشٍ، وَبِذَا انْفَرطَ عَقْدُ الحِلْفِ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ الـرِّيحَ فَعَصَفَتْ بِخِيَامِ المُشْـرِكِينَ، وَكَفَـأَتْ قُدُورَهُــمْ، وَجَعَلَتْهُمْ فِي شَرِّ مُقَامٍ فَمَا كَانَ لَهُمْ إِلاَّ أَنْ يَنْسَحِبُوا وَيُغَادِرُوا مَوْقِعَهُمْ مُتَّجِهِينَ إِلَى دِيَارِهِمْ.

وَبَدَأَتْ أَرْضُ العَرَبِ تَخْضَعُ لِلْمُسْلِمِينَ تَدْرِيجِياً، وَتَدِينُ بِالإِسْلاَمِ، وَتَنْتَشِرُ الدَّعْوَةُ عَلَى رَكَائِزَ ثَابِتَةٍ، وَجَاءَ دَوْرُ مَكَّةَ، وَآنَ وَقْتُ الفَتْحِ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَصْحَابِهِ إِلَيْهَا فِي العَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَفَتَحَهَا غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ المُشْرِكِينَ قَدْ تَجَمَّعُوا، وَجَمَعُوا حَوْلَهُـمْ بَعْضَ

العَناصِرِ، وَأَرَادُوا المُقَاوَمَةَ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍو، وَصَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وَحَشَدُوا جَمْعَهُمْ في مَوقِعٍ يُقَالُ لَهُ الخَنْدَمَةَ، فَالتَقَى بِهِمْ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ المُسْلِمِينَ فَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ وفَرَّ مَنْ فَرَّ وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ، وكَانَ مِمَّنْ فَرَّ رَجُلٌ اسْمُهُ حِمَاسُ بنُ قَيْسٍ فَقَدْ هَرَبَ إِلَى بَيْتِهِ، وقَالَ لامْرَأَتِهِ: اغْلِقِي عَلَيَّ البَابَ، فَقَالَتْ: أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ فقَالَ:

إِنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ يَوْمَ الخَنْدَمَهْ
إِذْ فَرَّ صَفْوَانُ وَفَرَّ عِكْرِمَهْ
وَأَبُو يَزِيدَ[1] قَائِمٌ كَالمُوتِمَهْ[2]
وَاسْتَقْبَلَتْهُمْ بِالسُّيُوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَهْ
ضَرْباً فَلاَ يُسْمَعُ إِلاَّ غَمْغَمَهْ
لَهُمْ نَهِيتٌ[3] خَلْفَنَا وَهَمْهَمَهْ
لَمْ تَنْطُقِي بِاللَّوْمِ أَدْنَى كَلِمَهْ

لَقَدْ فَرَّ عِكْرَمَةُ إِلَى اليَمَنِ بَعْدَ هَزِيمَةِ يَوْمِ الخَنْدَمَةِ. وَكَانَ

---

(١) أبو يزيد: سهيل بن عمرو.
(٢) الموتمة: المرأة التي مات زوجها وخلّف لها أيتاماً.
(٣) النهيت: صوت الصدر.

رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ عَهِدَ إِلَى أُمَرَائِهِ مِنَ المُسْلِمِينَ، حِينَ أَمَرهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ، أَنْ لاَ يُقَاتِلُوا إِلاَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ، إِلاَّ أَنَّهُ أَمَرَ بِقَتْلِ نَفَرٍ سَمَّاهُمْ، وَإِنْ وُجِدُوا تَحتَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ، وَمِنْهُمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ.

إِسْلاَمُ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَكَّةَ، وَعَفَا عَنْ أَهْلِهَا، وَبَدَأَ سُكَّانُهَا يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً، وَكَانَ مِمَّنْ أَسَلَمَ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الحَارِثِ بنِ هِشَامٍ زَوْجُ عِكْرِمَةَ، كَمَا أَسْلَمَ أَبُوهَا الحَارِثُ بنُ هِشَامٍ يَومَذَاكَ.

جَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَوْجِهَا عِكْرِمَةَ، فَوَافَقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَحْمَةً بِهَا وَبِزَوْجِهَا، وَهُوَ بُعِثَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَحُبّاً لِلْخَيْرِ إِذْ كَانَ يُحِبُّهُ لِلنَّاسِ جَمِيعاً وَحَتَّى لأَعْدَائِهِ وَيَتَمَنَّى أَنْ يُسْلِمَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً لِيُنْقِذَهُمْ مِنَ النَّارِ. فَلَحِقَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِزَوْجِهَا، وَأَخْبَرَتْهُ بِإِعْطَاءِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأَمَانَ لَهُ، فَعَادَ مَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَيُرْوَى أَنَّ عِكْرِمَةَ قَدْ وَصَلَ إِلَى البَحْرِ فَارّاً وَقَدْ رَكِبَهُ

فَـأَصَابَهُمْ عَاصِفٌ فَقَـالَ أَصْحَـابُ السَّفِينَـةِ: أَخْلِصُـوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِي عَنْكُمْ هَا هُنَا شَيْئاً، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنْجِنِي فِي البَحْـرِ إِلاَّ الإِخْـلاَص لاَ يُنْجِينِـي فِي البَـرِّ غَيْرُهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْداً إِنْ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّداً حَتَّى أَضَعَ يَدِي في يَدِهِ فَلاَ أَجِدَنَّهُ إِلاَّ عَفُوّاً كَرِيماً(١). وَلَمَّا جَاءَ عِكْرِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ: أَهْلاً بِالرَّاكِبِ المُهَاجِرِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَا مُحَمَّـدُ إِنَّ هَذِهِ (وَأَشَـارَ إِلَـى أُمِّ حَكِيمٍ زَوْجِهِ) أَخْبَرَتْنِي أَنَّكَ أَمَّنْتَنِـي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَتْ، فَأَنْتَ آمِنٌ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ فَإِلَى مَا تَدْعُو؟ قَالَ: أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُـولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ. . . وَعَدَّ عَلَيْهِ وَاجِبَاتُ الإِسْلاَمِ . . . . فَشَهِدَ عِكْرِمَـةُ شَهَـادَةَ الحَـقِّ، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَقُولُ أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدَ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَـاهِدٌ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لاَ تَسْأَلْنِـي اليَوْمَ شَيْئَاً أُعْطِيهِ أَحَدَاً إِلاَّ أَعْطَيْتُـكَهُ، فَقَـالَ عِكْرِمَـةُ: فَإِنِّـي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ

(١) الإصابة.

فِيْهِ، أَوْ مُقَامٍ لَقِيتُكَ فِيْهِ، أَوْ كَلاَمٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ، أَوْ أَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيْهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ المَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِن عِرْضٍ فِي وَجْهِي أَوْ أَنَا غَائِبٌ عَنْهُ. فَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَضِيتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ قِتَالاً فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدٍ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومِيَّةِ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ لأَبِي جَهْلٍ عِذْقاً فِي الجَنَّةِ» فَلَمَّا أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ هَذَا هُوَ»(١).

لَمَّا أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ خَلَعَ عَنْ نَفْسِهِ كُلَّ آثَارِ الوَثَنِيَّةِ وَالجَاهِلِيَّةِ وَالشِّرْكِ حَتَّى ثِيَابَهُ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا لَمْ يَعُدْ يَطِقْ رُؤْيَتَهَا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمْ يَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ.

أَقَامَ عِكْرِمَةُ فِي مَكَّةَ وَانْصَرَفَ لِلتَّعْوِيضِ عَمَّا فَاتَهُ مِنَ

---

(١) الإصابة.

الإِسْلاَمِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ ارْتَحَلَ إِلَى المَدِينَةِ. وَفِي حَجَّةِ الوَدَاعِ اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى صَدَقَاتِ هَوَازِنَ، وَتُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعِكْرِمَةُ فِي تَبَالَةَ.

مَعَ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَايَعَ المُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةً لَهُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. غَيْرَ أَنَّ العَرَبَ قَدِ ارْتَدَّتْ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الإِسْلاَمِ سِوَى مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ والطَّائِفِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَيْشَ أُسَامَةَ إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ قَدْ جَهَّزَهُ وَمَا كَانَ لأَبِي بَكْرٍ أَنْ يُوقِفَ مَا حَرَصَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَى بَعْثِهِ. وَلَمَّا رَجَعَ جَيْشُ أُسَامَةَ أَعَدَّ أَبُو بَكْرٍ الجُيُوشَ لِلْمُرْتَدِّينَ وَاخْتَارَ لَهَا القَادَةَ المَعْرُوفِينَ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ.

حَرْبُ الْمرتَدِّينَ:

أَرْسَلَ الصِّدِّيقُ إِلَى اليَمَامَةِ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرٍ حَيْثُ كَانَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ هُنَاكَ قَدِ ارْتَدَّ وَادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَطَلَبَ الصِّدِّيقُ

مِنْ عِكْرِمَةَ أَلاَّ يَبْدأَ القِتَالَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ شُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ بِالمَدَدِ، غَيْرَ أَنَّ عِكْرِمَةَ عَجَّلَ بِالحَرْبِ وَأَرَادَ الوُصُولَ إِلَى حَجْرِ اليَمَامَةِ عَنْ طَرِيقِ ثَنْيَةِ (دِيرَاب) وَلَكِنْ لَمْ يَتمَكَّنْ لِقُوَّةِ بَنِي حَنِيفَةَ حَيْثُ كَانُوا فِي أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنَ المُقَاتِلَةِ، فَنَالَ عِكْرِمَةَ وَمَنْ مَعَهُ قَرْحٌ مِنْ مُسَيْلَمَةَ، وَجَاءَ شُرَحْبِيلُ وَلَمْ يَتمَكَّنَا مِنَ التَّقَدُّمِ أَيْضاً حَتَّى جَاءَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ وَقَهَرَ مُسَيْلَمَةَ، وَدَخَلَ اليَمَامَةَ، وَقُتِلَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّابُ.

وَكَانَ لَقِيطُ بنُ مَالِكٍ الأَزْدِيُّ (الجُلَنْدَى) قَدْ تَنَبَّأَ فِي عُمَانَ، وَتَغَلَّبَ عَلَى (جَيْفَرٍ) وَ (عَبْدٍ) وَأَلْجَأَهُمَا إِلَى أَطْرَافِ البِلاَدِ، فَبَعَثَ (جَيْفَرُ) إِلَى الصِّدِّيقِ بِالخَبَرِ، فَبَعَثَ لَهُ حُذَيْفَةَ بنَ مِحْصَنٍ الحِمْيَرِيَّ، وَعَرْفَجَةَ البَارِقِيَّ. وَكَتَبَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى عِكْرِمَةَ فِي اليَمَامَةِ يَلُومُهُ عَلَى تَسَرُّعِهِ، وَقَالَ لَهُ: لاَ أَرَيَنَّكَ وَلاَ أَسْمَعَنَّ بِكَ إِلاَّ بَعْدَ بَلاَءٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِحُذَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ إِلَى عُمَانَ، وَكُلٌّ مِنْكُمْ أَمِيرٌ عَلَى جَيْشِهِ، وَحُذَيْفَةُ مَا دُمْتُمْ بِعُمَانَ فَهُوَ أَمِيرُ النَّاسِ، فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَاذْهَبُوا إِلَى (مَهْرَةَ)، فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَاذْهَبْ إِلَى اليَمَنِ وَحَضْرَمُوتَ فَكُنْ مَعَ المُهَاجِرِ بنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَمَنْ لَقِيتَهُ مِنَ المُرْتَدَّةِ بَيْنَ عُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَاليَمَنِ فَنَكِّلْ بِهِ.

سَارَ عِكْرِمَةُ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ الصِّدِّيقُ فَلَحِقَ حُذَيْفَةَ وَعَرْفَجَةَ قَبْلَ

أَنْ يَصِلاَ إِلَى عُمَانَ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِمَا الصِّدِّيقُ: أَنْ يَنْتَهِيَا إِلَى رَأْيِ عِكْرِمَةَ بَعْدَ الفَرَاغِ مِنَ السَّيْرِ إِلَى عُمَانَ أَوْ المُقَامِ بِهَا. فَسَارُوا، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ عُمَانَ رَاسَلُوا (جَيْفَراً)، وَبَلَغَ لَقِيطَ بنَ مَالِكٍ مَجِيءُ الجَيْشِ، فَخَرَجَ فِي جُمُوعِهِ وَعَسْكَرَ فِي (دَبَا)، وَاجْتَمَعَ (جَيْفَرُ) وَ (عَبْدُ) في (صُحَارٍ) فَعَسَكَرَا بِهِ، وَبَعَثَا إِلَى أُمَرَاءِ الصِّدِّيقِ فَقَدِمُوا عَلَى المُسْلِمِينَ، وَتَقَابَلَ الطَّرَفَانِ، وَنَصَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ وَهَزَمَ الكُفَّارَ.

وَلَمَّا فَرَغَ المُسْلِمُونَ مِنْ عُمَانَ سَارَ عِكْرِمَةُ بِالنَّاسِ إِلَى بِلاَدِ (مَهْرَةَ) بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الجُيُوشِ وَمَنْ أُضِيفَ إِلَيْهَا، فَوَجَدَ أَهْلَ (مَهْرَةَ) قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ وَهُوَ الأَكْثَرُ عَدَداً مَعَ زَعِيمٍ يُدْعَى (المُصَبِّحَ)، وَالقِسْمُ الآخَرُ مَعَ رَجُلٍ يُسَمَّى (شِخْرِيتَ) فَرَاسَلَ عِكْرِمَةُ (شِخْرِيتَ) فَأَجَابَهُ وَانْضَمَّ إِلَيْهِ، فَضَعُفَ بِذَلِكَ أَمْرُ (المُصَبِّحِ) فَبَعَثَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَأَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ، وَغَرَّتْهُ قُوَّتُهُ، فَسَارَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ فَانْتَصَرَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَغَنِمَ الكَثِيرَ، فَخَمَّسَ الغَنَائِمَ وَبَعَثَ الخُمْسَ إِلَى الصِّدِّيقِ مَعَ (شِخْرِيتَ)، وَعَادَ أَهْلُ (مَهْرَةَ) إِلَى الإِسْلاَمِ.

سَارَ عِكْرِمَةُ إِلَى اليَمَنِ بَعْدَ أَنِ انْتَهَى مِنْ (مَهْرَةَ) فَوَجَدَ أَنَّ

المُهَاجِرَ بنَ أَبِي أُمَيَّةَ قَدْ أَنْهى أَمْرَ اليَمَنِ ، فَعادَ عِكْرِمَةُ إِلَى المَدِينَةِ .

فُتُوحُ الشَّامِ :

بَعْدَ أَنْ قَضَى الخَلِيفَةُ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى المُرْتَدِّينَ اتَّجَهَ إِلَى أَطْرَافِ الجَزِيرَةِ لِيَقْضِيَ عَلَى الظُّلْمِ القَائِمِ هُنَاكَ وَالَّذِيْ يَحُولُ دُون نَشْرِ الدَّعْوَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ بَعَثَ الكُتُبَ إِلَى مُلُوكِ وَأُمَرَاءِ تِلْكَ الجِهَاتِ فَلَمْ يُلَبُّوا الدَّعْوَةَ وَلَمْ يُقْلِعُوا عَنِ الظُّلْمِ .

وَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ الجُيُوشَ إِلَى العِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَكَانَ عِكْرِمَةُ قَدِ اخْتِيرَ لِيَكُونَ بَيْنَ الجُنْدِ المُتَحَرِّكَةِ نَحْوَ الشَّامِ .

بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعَةَ جُيُوشٍ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ أُمَرَاؤُهَا : أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ ، وَيَزِيدُ بنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ ، وَيَضُمُّ كُلُّ جَيْشٍ مِنْ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةِ آلاَفِ مُقَاتِلٍ إِلاَّ جَيْشَ يَزِيدَ فَإِنَّهُ كَانَ يَضُمُّ سَبْعَةَ آلاَفٍ لأَنَّ جِهَتَهُ دِمَشْقُ مَقَرُّ الحُكْمِ الرُّومَانِيِّ. وَيُضَافُ إِلَى هَذِهِ القُوَّاتِ فِرْقَةٌ احْتِيَاطِيَّةٌ تَضُمُّ أَيْضاً سِتَّةَ آلاَفٍ عَلَى رَأْسِهَا عِكْرِمَةُ بنُ عَمْرٍ، وَتُرَابِطُ جَنُوبَ

بِلاَدِ الشَّامِ لِتَتَدَخَّلَ فِي المَعْرَكَةِ فِي الوَقْتِ المُنَاسِبِ، وَالمَكَانِ المَطْلُوبِ دَعْمُهُ.

حَشَدَ الرُّومُ قُوَّاتٍ ضَخْمَةً لِمُوَاجَهَةِ المُسْلِمِينَ، فَتَجَمَّعَتِ الجُيُوشُ الإِسْلاَمِيَّةُ وَطَلَبَتْ مِنَ الخَلِيفَةِ الدَّعْمَ، فَأَمَرَ الخَلِيفَةُ أَنْ يَنْضَمَّ عِكْرِمَةُ إِلَى إِخْوَانِهِ وَأَنْ يَسِيرَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ مِنَ العِرَاقِ بِجُزْءٍ مِنْ قُوَّاتِهِ هُنَاكَ.

الْتَقَى المُسْلِمُونَ بِالرُّومِ فِي مَيْدَانِ اليَرْمُوكِ، وَقَسَّمَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ قَائِدُ المُسْلِمِينَ يَوْمَذَاكَ الخَيَّالَةَ إِلَى كَتَائِبَ وَأَوْكَلَ إِلَى كُلِّ كَتِيبَةٍ دَعْمَ لِوَاءٍ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي القَلْبِ وَتَدْعَمُهُ كَتِيبَةُ القَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍ التَّمِيمِيِّ مِنْ المَيْمَنَةِ وَكَتِيبَةُ عِكْرِمَة بنِ عَمْرٍ المَخْزُومِيِّ مِنَ المَيْسَرَةِ. وَكَتِيبَةُ خَالِدٍ وَالحَرَسُ المُتَحَرِّكُ تَدْعَمُ لِوَاءَ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَهُوَ عَلَى المَيْمَنَةِ، وَكَتِيبَةُ قَيْسِ بنِ هُبَيْرَةَ تَدْعَمُ لِوَاءَ يَزِيدَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ عَلَى المَيْسَرَةِ.

وَكَانَتْ مُهِمَّةُ كَتِيبَةِ عِكْرِمَةَ أَيْضاً أَنْ تَدْعَمَ لِوَاءَ يَزِيدَ إِذَا دَعَتِ الحَاجَةُ إِلَى ذَلِكَ، كَمَا يَدْعَمُ القَعْقَاعُ لِوَاءَ عَمْرٍ. وَقَدِ اشْتَدَّ الهُجُومُ الرُّومِيُّ فِي اليَوْمِ الرَّابِعِ مِنَ المَعْرَكَةِ عَلَى مَيْسَرَةِ المُسْلِمِينَ حَيْثُ يُوجَدُ لِوَاءُ يَزِيدَ فَدَعَمَهُ عِكْرِمَةُ بِبَسَالَةٍ وَصَمَدَ لِلأَعْدَاءِ. وَقَالَ: مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى المَوْتِ، فَبَايَعَهُ عَمُّهُ

الحَارِثُ بنُ هِشَامٍ، وَضِرَارُ بـنُ الأَزْوَرِ وَعَدَدٌ مِنْ فُرْسَـانِ المُسْلِمِينَ فَانْطَلَقَ بِهِمْ حَتَّى أَزَاحَ الرُّومَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ، وَقَـدِ اسْتُشْهِدَ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، يَوْمَـذَاكَ، كَمَـا اسْتُشْهِـدَ عَمُّـهُ الحَارِثُ، وَضِرَارُ بنُ الأَزْوَرِ. وَقَدْ وُجِـدَ فِي عِكْرِمَـةَ بِضْـعٌ وَسَبْعُونَ مَا بَيْنَ ضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ وَطَعْنَةٍ.

كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَنَّى بِأَبِي عُثْمَانَ، وَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ.

وَقَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَذْكُرَ اسْمَ عِكْرِمَةَ وَاسْمَ أَبِيهِ، وَلَمْ أَتَعَرَّضْ لِلَقَبِ أَبِيهِ الَّذِي عَـرَفَـهُ المُسْلِمُونَ بِهِ، وَهُوَ «أَبُو جَهْلٍ» لأَنَّ فِيهِ شَتِيمَةً، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ سَبِّ أَبِيهِ قَائِلاً: «لاَ تَسُبُّوا أَبَاهُ فَإِنَّ سَبَّ المَيِّتِ يُـؤْذِي الحَيَّ وَلاَ يَبْلُغَ المَيِّتَ». لَمْ أَذْكُرْ كَلِمَةَ (أَبَا جَهْلٍ) عِنْـدَ التَّعْـرِيفِ بِعِكْرِمَةَ، أَمَّا عَدَا ذَلِكَ فَلاَ أَذْكُرُهُ إِلاَّ فِي الاسْمِ الَّذِي عَرَفَـهُ المُسْلِمُونَ بِهِ، فَلاَ أَقُولَ إِلاَّ أَبَا جَهْلٍ.

وَأَخِيراً فَإِنَّ عِكْرِمَةَ بنَ عَمْرِ بنِ هِشَامٍ كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي القَضَاءِ عَلَى المُرْتَدِّينَ وَإِعَادَةِ جَزِيرَةِ العَرَبِ إِلَى حَوْزَةِ الإِسْلاَمِ، كَمَا كَانَ لَهُ دَوْرٌ فِي الفَتْحِ وَنَشْرِ الإِسْلاَمِ إِضَافَةً إِلَى السُّلُـوكِ المُسْـتَقِيمِ الَّذِيْ امْتَازَ بِهِ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ فَهُوَ فِعْلاً أَحَدُ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ الَّتِي شَعَّ مِنْهَا الخَيْرُ إِلَى العَالَمِ أَجْمَع.